دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	توظيف الفن الإسلامي في العمارة السكنية الأردنية
المصدر:	مجلة الزرقاء للبحوث والدراسات الإنسانية
الناشر:	جامعة الزرقاء - عمادة البحث العلمي
المؤلف الرئيسي:	الخطاط، محمد أشرف عبد العزيز أمين
مؤلفين آخرين:	الخلايلة، عز الدين محمد(م. مشارك)
المجلد/العدد:	مج14, ع2
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2014
الصفحات:	233 - 248
رقم MD:	689671
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	HumanIndex
مواضيع:	الحضارة الإسلامية ، الفنون الإسلامية، العمارة ، الأردن
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/689671

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

Employing Islamic Art into Jordanian Residential Architecture

Prof. Mohammed Ashraf Atkhattat
Faculty of Arts and Design – Department of Interior Design
Applied Science Private University

Dr. Iz Din Mohammed Khalayleh
Faculty of Arts and Design – Department of Interior Design
Zarqa University

Received ٢٦/٩/٢٠١٢ **Accepted ٨/٥/٢٠١٣**

Abstract:

This research tackles an issue that hasn't been addressed before, which is the negligence of the Islamic architectural art, and the lack of its revival in the residential, governmental or touristic buildings. The research specializes in Jordanian residential complexes; as it was noted that for Jordanian residential buildings stone was the material of choice, uniting with the color to a large degree, as those are two important elements in the formation of the Islamic architecture.

However, in Jordan we have been ignoring the third element which is the artistic identity in our residential buildings, as our designers and architects looked to the west for deriving their own architectural shapes; which in turn amazed us causing us to mimic them with no design skills.

Moreover, the designers and architects have ignored the renowned Islamic architectural arts which the western designers try to develop, analyze, redo and draw from. Then they export these ideas and designs to us as their own, taking Al-Sharq City and King Abdullah City "Sakan Kareem" in Al-Zarqa province as an example.

The researcher gave several advices - founded by his concern and protectiveness over our culture - that may be used to redress and battle this massive wave of globalization being exported to us, to preserve our Islamic architectural art, and to make sure of the continuation of the cultural arts to the following generations.

توظيف الفن الإسلامي في العمارة السكنية الأردنية

أ. محمد أشرف الخطاط
كلية الفنون والتصميم – قسم التصميم الداخلي
جامعة العلوم التطبيقية الخاصة

د. عز الدين محمد الخلايله
كلية الفنون والتصميم – قسم التصميم الداخلي
جامعة الزرقاء

تاريخ استلام البحث ٢٠١٢/٩/٢٦ **تاريخ قبول البحث ٢٠١٣/٥/٨**

ملخص:

يتعرض البحث لمشكلة لم يتم التعرض لها من قبل وهي تخص إهمال الإرث الإسلامي المعماري، وعدم إحيائه في مبانيها السكنية أو الحكومية أو السياحية، ويختص البحث بالمباني السكنية الأردنية المجمعات السكنية؛ لما تم ملاحظته من أن المباني السكنية الأردنية تتحد في الخامة الحجر، ومن ثم تتحد في اللون بدرجة كبيرة وهما عنصران مهمان في تشكيل العمارة الإسلامية، إلا أننا في الأردن تجاهلنا العنصر الثالث وهو الهوية الفنية في مبانينا السكنية، وسعى معماريونا ومصممونا إلى الغرب باستنباط أشكالهم المعمارية الخاصة بهم ؛ فانبهرنا بها وقلدناهم تقليدا لا ينم عن مهارة تصميمية، كما تجاهل المصممون والمعماريون التراث الفني المشهور عالميا للفن المعماري الإسلامي الذي يسعى المصممون الغربيون إلى النهل منه، وتطويره وتحليله وإعادة صياغته، ثم يعيدون تصدير هذه الأفكار والتصميمات إلينا على أنها تصميماتهم، وقد أُخذت مدينة الشرق ومدينة الملك عبد الله و"سكن كريم" بمحافظة الزرقاء كمثالين قائمين على هذا المنحى.

وقد أوصى الباحثان – بناء على حرصهما وغيرتهما على تراثنا – بعدد من التوصيات يمكن بموجبها تدارك هذه الموجة العارمة من العولمة المعاد تصديرها إلينا، ومجابهتها حفاظا على تراثنا المعماري الإسلامي وحرصا على التواصل الإرثي الفني للأجيال اللاحقة.

المقدمة:

يتناول هذا البحث الفن الإسلامي بخاصة المعماري بجميع مفرداته، وطرزه، وزخارفه، ملقيا الضوء على أسباب استمرار شخصية هذا الفن على مر العصور؛ بكونه فنا إنسانيا دينيا هندسيا في غاية الدقة. وعلى الرغم من تنوع الفنون الإسلامية باختلاف الأقطار التي ازدهرت بها؛ إلا أن شخصيتها استمرت متفردة وواضحة المعالم بين سائر الفنون، فالمسكن أحد أهم مفردات العمارة توظيفا وانتشارا، وقد ورد ذكره في القرآن الكريم بمواطن عديد من ذلك قول الله عز وجل ": إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا " (سورة آل عمران الآية ٦٩)

وإن كانت بيت هنا مجازية يقصد بها التوجه للعبادة والطمأنينة، فالإنسان يتوجه إلى بيته يوميا للسكينة والطمأنينة، فمنذ بدء الخلقية والإنسان يسعى إلى إيجاد مسكن أو مأوى يأويه من قسوة العوامل الجوية من أمطار وصقيع وحرارة، أو من الحيوانات الضارية وغيرها.

وقد جاء في معجم المعاني المسكن يعني الطمأنينة، وفي الذكر الحكيم: " سكن لهم " (سورة التوبة آية ٣٠١) أي طمأنينة ورحمة لهم، وفي موضع آخر " ما سكن "(سورة الأنعام آية ١٣) أي ما استقر وحلّ. فالإنسان يسعى دائما إلى إيجاد مسكن خاص به، يشعره بالطمأنينة والاستقرار؛ وليكمل رسالته السماوية في التزاوج والإنجاب، فهو يحرص على تحقيق ذلك بسعيه الدائم في الحياة والعمل؛ لذا فلا بدّ أن يكون المنزل محققا لاحتياجاته الحياتية، ومتوائما بقدر الإمكان مع إمكانياته المادية سواء أكان مالكا أم مستأجرا؛ ليحقق له السرور النفسي والحاجة الوظيفية معا، فالمنزل الذى يتفرد بإحدى هاتين الوظيفتين، فهو يفتقد بالأهم الشروط المسكن.

نموذج لمنزل إسلامي، ويظهر فيه صحن النزل والنوافير والأيونات المطلة عليه.

ومن هنا فبنظرة متفحصة لعناصر المسكن الإسلامي نجده يحقق هاتين الميزتين، فهو لا يقصر وظيفيا في احتياجات قاطنيه نساء ورجالا، بالإضافة إلى غناه بالمفردات الجمالية المعمارية كالمشربيات والصحن الداخلي والعقود والمقرنصات والنوافير والأعمدة وغيرها، التي تحتوى على الزخارف بأنواعها وخصائصها المتفردة أموية وعباسية، وفاطمية، ومملوكية، وأندلسية، التجريدية منها والخطية.

نموذج آخر يظهر جمال المسكن الإسلامي من الداخل

وإذا كان المسكن الإسلامي قد صمم على التعاليم الإسلامية السمحة ووظف لها بما يضمن السلامة والطمأنينة للساكن والجار ،فإنه يصلح كذلك لأي ملة أو عقيدة نظرا لتحقيقه الأهداف ذاتها. وعلى الرغم من توحد المسكن الإسلامي في المفردات المعمارية السالفة الذكر، إلا أنه يختلف في تنوع كتلتها المعمارية، وذلك حسب الفارغ المعماري المتاح، وحسب الإمكانات المادية للمالك. فالمشاهد للمسكن الإسلامي لا يخطئ النظر في التعرف إليه من خلال شخصيته، وسماته المتفردة في الخامة واللون، فالمشربيات عادة ما تكون من الخشب المطلي " جماليكه "، وذلك للحفاظ على شكل الخامة الأصلي، أما الألوان المستخدمة في الطلاء الداخلي والخارجي فلها درجات ثابتة تقريبا تتأرجح بين البيج المائل إلى الحمرة أو البيج الغامق ocre سواء أكان حجرا أم طلاءً. وسيتم الحديث عن ذلك بالتفصيل فيما بعد.

ولعل ما لفت انتباهنا للمساكن في الأردن أنها تتحد في الخامة واللون " الحجر "، ولا ترتفع في أغلبها عن أكثر من طابقين فوق التسوية أو من غيرها، وهي بذلك تشترك مع المسكن الإسلامي في المضمون، إلا أنها تفتقر إلى السمة أو الشخصية المميزة لها لا سيما في بلد عربي إسلامي لا ينقصه إلا مجهود أبنائه من المعماريين والمصممين تكاتفا مع الدولة في عمل توصيات عند تخطيط المدن الحديثة في تخصيص مجاورات متدرجة المستوى في التصميمات السكنية ذات الطابع الإسلامي، فيخصص لكل مجاورة أكثر من نموذج يتدرج تكلفة، على أن تحمل جميعها في طياتها الطابع الإسلامي المتفرد، وهذا بدوره يسهم بشكل فعال في إحياء تراث طال إهمالنا له ؛ فأصبح عرضة للاقتباس، والتنسيب غير الصحيح، بالإضافة إلى أن ذلك يسهم في تبصير أجيال الشباب الأردني بإرثهم المعماري

الإسلامي، على الرغم من افتقار الأردن لكثير من الآثار المعمارية الإسلامية على غرار بعض الدول العربية مثل: مصر والعراق وسوريا التي تزخر بهذا الفن.

منظر بانورامي لأحد الأحياء السكنية بالأردن، وتظهر فيه عشوائية التخطيط وفقدان الهوية التصميمية، على الرغم من اتحاده في الخامة و تجانسه في اللون.

هدف البحث:

ويهدف الباحثان من هذا البحث وضع بعض التوصيات المستوحاة من الطراز الإسلامي في المسكن الأردني؛ لتكون نواة يحتذي بها خاصة في مواجهة العولمة الكاسحة، والاتجاهات المعمارية المتنوعة، والمحاولات المستترة والمستمرة في طمس الهوية الإسلامية بجميع أسمائها واتجاهاتها.

المسكن الإسلامي في البيئات الحضرية

أوجد المصمم المسلم من خلال الخبرات التي اكتسبها من عملية التحضر، وبناء المدن نماذج للمسكن الذي يعبر عن احتياجات المسلم في مختلف بلاد العالم الإسلامي، وقد أدى تأثر المسكن العربي والإسلامي بالتوجيهات الدينية والعادات الشرقية – خاصة عاملي الخصوصية والستر – إلى جانب مراعاة العوامل البيئية والمناخية إلى تميزه ببعض الخصائص العامة التي توفرت معظمها في المسكن القاهري، إذ يمكن تفصيلها على النحو الآتي:

أ- وجود المدخل المنكسر الذي لا يؤدي إلى مدخل الفناء مباشرة، بل يوصل إلى رحبة مربعة ومنها إلى ردهة التي بدورها تؤدي إلى الفِناء، حتى لا يتمكن من يمر في الشارع من رؤية ما في دِاخل البيت عند فتح الباب

ب- وجود الفناء المكشوف الذي يعد قلب البيت الرئيسي، تلتف حوله العناصر والفارغات الرئيسية جميعها، وعادة ما يحتوي على حديقة ونافورة.

ج- وجود التختبوش أو الإيوان بالطابق الأرضي، وهو عبارة عن مساحة مسقوفة تطل على الفناء الداخلي، وتستعمل للجلوس، واستقبال الضيوف من الرجال.

نموذج يوضح المسقط الأفقي للدورين الأرضي والأول بأحد المساكن الإسلامية، ويظهر به المدخل المنكسر لتحقيق الخصوصية التي تعد من أهم سمات العمارة الإسلامية.

د- وجود قاعة رئيسية للحريم وأخرى للرجال، يتوسطهما جزء منخفض يسمى الدرقاعة، فيه نافورة يعلوها شخشيخة بالسقف يخرج منها الهواء الدافئ ليحل محله الهواء البارد الذي يدخل القاعة عن طريق ملفف الهواء، أو عن طريق المشربيات، والنوافذ التي تطل على الفناء الداخلي. [1]

(1) الزركاني، خليل حسن، ٢٠٠٢، السرداب ووسائل التبريد في المسكن العربي القديم، ص ٩٦.

نموذج للصحن بأحد المساكن الإسلامية الفاخرة، وتظهر فيه الحديقة والنوافير والإيوانات المطلة عليه

نموذج آخر للصحن بأحد المساكن الإسلامية الفاخرة، وتظهر فيه الحديقة والنوافير والإيوانات المطلة عليه

لعل هذه هي أهم العناصر الرئيسية المكونة للبيت العربي الإسلامي في البيئات الحضرية، إلى جانب وجود حدائق السطح في بعض البيوت والمساكن التي تسمح لقاطنيها بالتمتع بالأمسيات الصيفية الباردة ليلا مع إمكانية النوم. [٢]

لقد شكلت تلك العناصر أنفة الذكر مجتمعة أو منفردة السمة أو الطراز الإسلامي المعماري في المسكن، ويارد بالطراز المعماري هو كل نوع من الفن، والإبداع تسير عليه جماعة من الفنانين أو المصممين أو الحرفيين، ويشيع في قطر من الأقطار له خصائصه ،ويحقق شكلا متكاملا في العلاقات التناسبية بين مفرداته، فثبت عند هذا الحد، وأصبح طراز معماريا مدونا ومحفوظا. [٣]

وإذا كان المقصود بالطراز هو كل نوع متميز من الفن يشيع في قطر من الأقطار أو منطقة ما، بحيث تميزت فنونها بسمات خاصة نتيجة للفوارق المحلية والمناخية والطبيعية من منطقة لأخرى، فقد ظهرت طرز ومدارس للعمارة الإسلامية في مختلف أرجاء العالم الإسلامي، لكل منها خصائصها ومميزاتها الناتجة عن المؤثرات البيئية والحضارية لكل بلد أو إقليم، وإن كانت الروح الإسلامية توحد فيما بينها من حيث الجوهر والمضمون. كما ساهمت التفاعلات الحضارية المتعددة والمتتابعة بشكل كبير في بلورة، وإفراز مدارس أو طرز متباينة في أماكن متفرقة من العالم الإسلامي.[٤]

نموذج لواجهة أحد المساكن ذات الطراز الإسلامي الهندي، ويظهر فيه مدى التنوع والتناغم والشخصية التصميمية الإسلامية.

لقد قام الباحثون، والعلماء المتخصصون في مجال الآثار والعمارة الإسلامية بجهود كبيرة لمعرفة الأسس المعمارية، والحلول الهندسية التي ابتكرتها العمارة الإسلامية، كما اجتهدوا في تصنيف ما درسوا من آثار، وعمائر إسلامية منتشرة في أرجاء العالم الإسلامي؛ لاكتشاف أوجه الشبه، والاختلاف بين مدارس العمارة الإسلامية وطرزها؛ وذلك لاختلاف التفاعلات الحضارية التي اختلفت من بيئة لأخرى ومن شعب لآخر.

ومن أهم التصنيفات وأشهرها في هذا المجال تصنيف الأثري ايرنست كونل Ernst kuhnel في كتابه المعروف باسم " فنون الإسلام " الذي ترجم إلى العربية، كذلك كريزول، creswell وأيضا جورج ماسيه George marcais في كتابه " الوجيز في الفن

([٢])مجلة التراث، العدد ٤٦، ٤٩

([٣]) حمودة، ألفت يحيى، ١٩٨٧م، الطابع المعماري بين التأصيل والمعاصرة، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ص ٣٦.

[٤]البهنسي ، عفيفي ، ١٩٨٢ ، الفنون القديمة ، دار الرائد اللبناني ، بيروت ، ص . ٣٩٥

الإسلامي "، وكذلك جوستاف لوبون في كتابه " حضارة العرب " الذي ألفه عام١٨٨٤ م، وجون هوج john hoage في كتابه " العمارة الإسلامية " عام١٩٧٧ م. [٥]

ومن هنا تثار تساؤلات ومحاولات عديدة حول مفهوم العمارة الإسلامية، إذ يرى بعض الباحثين أنه لا يجوز أن نصف المباني والعمائر التي بنيت في مختلف مناطق العالم عبر التاريخ بأنها إسلامية، أو يطلق عليها مصطلح العمارة الإسلامية، وإلا جاز لنا القول بوجود ما يسمى بالعمارة البوذية أو الهندوسية أو اليهودية وما شابه، ويرى أصحاب هذا الأري – من وجهة نظرهم – عدم الربط بين الفن أو العمارة والدين بصفة عامة، بينما يرى بعضهم الآخر وجود عمارة إسلامية تتمثل في مجمل المباني والمدن التي يحفل بها العالم الإسلامي، والمناطق بما فيها البلاد التي كانت جزءا منه في فترة من الفترات كالأندلس وصقلية، ويغلب على هذا الأري – في كثير من الأحيان – النظرة الشكلية؛ لتصبح العمارة الإسلامية في نظرهم مجرد بعض المباني الأثرية التي تتميز ببعض الخصائص، والعناصر المعمارية والزخرفية المعروفة كالأقواس والقباب والمآذن والمشربيات...الخ.

ويرى فريق آخر أنه لا يمكن فهم العمارة الإسلامية، والعديد من خصائصها الجوهرية إلا من خلال معرفة المؤثرات الدينية التي تعد عاملا أساسيا في إعطائها شخصيتها المتميز عن سائر الطرز المعمارية الأخرى، وترتكز وجهة نظر هذا الفريق على أن الإسلام كدين شامل وجامع قد حدد أطر العلاقة بين العبد وربه وبين العبد ومجتمعه، ولم يترك صغيرة ولا كبيرة في حياة المسلم إلا ووضع لها الإطار النموذجي الواجب اتباعه، وبذلك فإن الإسلام لم يكن ليهمل مسألة تحديد نظام المسلم ومعيشته، بما فيها أسلوب عمارة الأرض بصفته خليفة الله عليها. [٦]

ومن هنا نرى أنه لا يجوز أن تكون هناك عمارة بوذية أو هندوسية أو يهودية إذا كانت تتخطى في مفهومها الديني حدّ المعابد والأديرة، وعليه فإننا عندما نذكر لفظ العمارة الإسلامية فنحن نقصد المساجد والمساكن والأسبلة والتكايا والمسافر خانة والخنقاوات وغيرها من المباني المعمارية المتنوعة الشكل والوظيفة أيا كانت، فلم يكن الدين الإسلامي دينا للهداية فقط، ولكنه قانون حياة يحمل في خالص مضمونه الدين والدنيا، فهو في أغلب تعاليمه دنيوي ينظم العلاقة الإنسانية، ويحددها ويهذبها ما بين العبد والمعبود من جهة وبين العبد والآخرين من جهة أخرى، وبذلك فإن مقولة " الدين المعاملة" هي عبارة توضح عظمة هذا الدين، ولما كانت المعاملة ونخصها هنا بين المرء وأخيه متعددة ومتنوعة؛ فيمكن القول إن تعاليم الإسلام أثرت وبشكل واضح على المسكن كما أثرت على المسجد، وعلى الرغم من أن أغلب المفردات المعمارية قد تكون ثابتة في كلتيهما أعمدة وعقود وفتحات وقباب، إلا أن عظمة العمارة الإسلامية اختلفت في تناول الشكل Form رغم اتحاد المفرد، فالقصور تشمل الأعمدة والعقود والفتحات – الأبواب والشبابيك – غير أنه من النظرة الأولى يمكننا وبسهولة التعرف عما إذا كان هذا المبنى مسجدا أو قصار أو منزلا أو خانا أو تكية ...، وذلك ما ميز العمارة الإسلامية عن العمائر الأخرى.

نموذج لأحد الأحياء المصرية القديمة وتظهر فيه مفردات الشخصية المعمارية الإسلامية من مشربيات وشبابيك وأبواب يتفرد بها الطراز الإسلامي

وعليه فلا يمكننا القول بالعمارة اليهودية أو البوذية؛ لأن مبانيهم كانت عبارة عن عمائر دينية بحتة، ومن المنطلق ذاته لا نقول العمارة الفرعونية وإنما الطراز الفرعوني أو العمارة القديمة، فلم تكن عمائرهم إلا مقابر للخلود ؛ لذا لم يركزوا على المساكن، في حين يمكننا رؤية قبور على الطراز الإسلامي كتاج محل، كما يمكن تشييد مقبرة ما تحمل الطابع المعماري الإسلامي، إلا أنه لا يمكن عمل مسكن على الطراز اليهودي أو البوذي أو الهندوسي مثلا؛ وهذا مرجعه إلى أن الهوية والتراث الإسلامي لهما صفاتهما الدينية والدنيوية.

---

[٥] – حمودة ، ألفت يحيي، مرجع سابق ، ص . ٥٦

[٦] – الوزيري ، يحيي ، العمارة الإسلامية و البيئة ، الروافد التي شكلت التعمير الإسلامي ، ص . ٢٤ ، ٢٣

الهوية والتراث

الهوية لفظة مستمدة من معنى جوهر الشيء وحقيقته، فهي بمثابة البصمة للإنسان يتميز بها عن غيره، كذلك تعد الهوية الإسلامية جوهر الأمة العربية وحقيقتها وثوابتها التي صبغت بالصبغة الإسلامية منذ أن دانت به غالبية هذه الأمة، فأصبح الهوية الممثلة لأصالة الأمة وثقافتها فهو الذي يطبعها ويصبغها بطابعه وصبغته. [٧]

ويحدد الدكتور أحمد بن نعمان الهوية من ناحية الدلالة اللغوية هي كلمة مركبة من ضمير الغائب (هو) مضاف إليه ياء النسبة؛ لتدل الكلمة على ماهية الشخص أو الشيء كما هو بالواقع ،بخصائصه ومميزاتها التي يعرف بها، وهي وجود الشخص أو الشعب أو الأمة، وبناء على مقومات ومواصفات وخصائص معينة تمكن من معرفة صاحب الهوية بعينه دون التباس مع أمثاله من الأشباه.[٨]

التعريف بمصطلح التراث

تُعرف منظمة العواصم والمدن الإسلامية التراث بأنه ذاكرة الأمة بما فيها من أحداث، وعرفت اتفاقية حماية التراث العالمي والثقافي والطبيعي لعام ١٩٧٢ – التي أقرتها منظمة اليونسكو — أن المنطقة التراثية هي مجموعة من الأبنية والساحات التي تشكل مستوطنا بشريا في بيئة حضارية أو دينية، ويعترف بقيمتها أثريا ومعماريا وتاريخيا بالأخص تلك المناطق التي تتسم بقدر كبير من تنوع المعالم الأثرية أو المدن، وينبغي أن يصان طابعها من العبث أو التخريب أو التحديث.

فاصطلاح الحضارة هو عبارة عن مجموعة من المفاهيم والقيم والتصورات والعقائد والمبادئ والعادات التي تشكل سلوكا معينا ومحددا عند الإنسان، وتحدد له طريقة معينة في الحكم والعيش والحياة والتعامل مع الآخرين.[٩]

نموذج لأحد تصميمات المعماري الأردني جعفر طوقان التي تحمل في طياتها طابعا مميزا قريبا للعمارة الإسلامية

وتُعرف (ويكيبيديا) الموسوعة الحرة العمارة الإسلامية بأنها الخصائص البنائية التي استعملها المسلمون لتكون هوية لهم، وقد نشأت تلك العمارة بفضل الإسلام في المناطق التي وصل إليها كشبه الجزيرة العربية ومصر وبلاد الشام والمغرب العربي وتركيا وإيران، بالإضافة إلى المناطق التي حكمها المسلمون لمدة طويلة مثل الأندلس والهند، وقد تأثرت خصائص العمارة الإسلامية وصفاتها بشكل كبير بالدين الإسلامي ونهضته العلمية، وهي تختلف من مكان لآخر تبعا للطقس والإرث المعماري والحضاري السابق في المنطقة، حيث انتشر الصحن المفتوح في الشام والعراق والجزيرة العربية، بينما اختفى في تركيا نتيجة للجو البار، وفي اليمن بسبب الإرث المعماري.[١٠]

ويذكر المعماري الأردني جعفر طوقان أن المنجز المعماري بحاجة إلى تكريس دوره كمعلم هام في فضاء المشهد المدني وتأثره ضمن سياقه الحضاري، أي مدى ملاءمة المبنى وتوافقه ضمن خصوصيات الموروث البنائي التي كونتها المهارات المصقولة عبر سلسلة من عقود الحقب الزمنية والتاريخية.[١١]

فعندما نشاهد الأحياء القديمة ومبانيها نشعر دائما بتلك البساطة الرائعة، ونلمس التكوينات والقواعد الجمالية التي تتمثل فيها كوحدة الانسجام وحتى الاختلاف (التضاد) ؛ مما يجعل تلك البيئة العمرانية غنية ومتجددة دائما، ففي كل مرة تراها تجدها في حالة جديدة، وتشعر بشعور مختلف ونلمس رؤية أخرى [١٢].

---

[٧] – عمارة ، محمد، مخاطر العولمة على الهوية و الثقافة ، ٩٩٩١ ، ص ١٠٢ .

[٨] – أحمد ، بن نعمان ، اشهدي يا جزائر ، دار الأمة ٢٠٠٢ م ، ص ، ١٨٨

[٩] – , IESCO العدد ١٥٦ ، بعنوان ، الأيسسكو بين الأهداف و المصاعب و التحديات ، ص ٤٧

[١٠] – ويكيبيديا ، الموسوعة الحرة ، في تعريف العمارة الإسلامية.

[١١] – توقان ، جعفر ، موقعه الخاص على شبكة الإنترنت.

[١٢] الشمراني، سامى سعيد، فلسفة الجمال في العمارة الإسلامية، ص ١٣٨.

وكما أن الهوية هي إحدى أوجه الحضارة أيا كانت الحقبة التاريخية لها، فإن أي حضارة دون هوية لا تعد حضارة، ومن ثم فلا تراث لها يورث، فالامتداد الحضاري لأي أمة يكمن في مدي طول امتدادها التاريخي والحضاري علي مر العصور المتعاقبة عليها، وقد تنقطع الحضارة عند زمن معين تاركة شخصيتها المتفردة والمتوحدة، وذلك في حد ذاته هو إرث لأجيال متلاحقة، ولإحياء الإرث لا بد لنا من أمور عدة:

أولا: المحافظة عليه من التلف والاندثار سواء أكان بفعل العوامل الجوية أم الإنسانية.

ثانيا: العمل على إحيائه والاقتباس منه وتطويره بما يتلاءم مع معطيات العصر اللاحق عليه، بحيث لا يفقد هويته وشخصيته المميزة له، ويكمن ذلك معماريا في المدن السكنية أو المسكن الذي يشكل في مجموعه المدينة، فيعرف مدى ثراء مكان ما من مجرد النظر إلي الأحياء السكنية فيه، وليس المباني الدينية أو المصانع، فنحن نقيم كل يوم عشرات المساكن في العديد من المناطق بمستوياتها المعيشية المختلفة، ولا نقيم كل يوم دار عبادة أو مصنعا أو فندقا. ومن هنا نرى أن المسكن تحديدا هو الذي يعبر على مر العصور عن مدى تطور مدينة ما أو حضارة ما أو تدهورهما، وهذا قراءة جيدة لما طرأ على حضارة شعب من الشعوب من تطور أو اضمحلال.

تعريف الحضارة:

يشكل المسكن الحيز الذي استوعب مهارات الفنانين ومواهبهم، فالمنازل التي اكتشفت في وادي "النطوف" بفلسطين أو في " المريبض "بسورية والتي تعود إلى الألف السابعة قبل الميلاد، كانت مزينة بزخارف ملونة، غير أن العمارة بذاتها لم تلبث أن أصبحت بمظهرها الخارجي وكتلتها و أقسامها شيئا فنيا مجسما يحتاج إلى عمل إبداعي، كما يحتاج إلى فكر هندسي، ومع ذلك فقد استمدت العمارة المجال الذي يستوعب جميع أنماط الفن التشكيلي من تصوير أو نحت، وتجلى ذلك بقوة في العمارة الإسلامية، فشاهدناه في القصور الأموية التي تميزت بالنحت الملون وغير الملون، والرسوم بالفسيفساء التي ما زالت أثارها ماثلة في قصور الحيرة والمشتى وقصر المفجر وقصير عمرة وحمامه، إلا أن العمارة الإسلامية اعتمدت لغة أخرى غير مفردات الخط واللون، وهي لغة الكتلة والفارغ وقدمت لنا هوية مستقلة متميزة لم تختلط بهوية فنون العمارة الأخرى التي عاصرت فن العمارة الإسلامية.[١٣]

الشكل يوضح مظاهر العمارة الإسلامية من الداخل ومدى ثرائه المعماري والتجانس اللوني

شكل آخر يوضح مظاهر العمارة الإسلامية من الداخل ومدى ثرائه المعماري و التجانس اللوني

[١٣] – البهنسي ، عفيفي ، فنون العمارة الإسلامية وخصائصها ، في مناهج التدريس ، ص ٦.

***مظاهر العمارة الإسلامية:**

١. اتحاد الأعمدة والمنحنيات والمشربيات والشرفات والقباب والمآذن والمداخل الملتوية.
٢. كانت المدن تحاط بأسوار منيعة، ولها أبواب متينة وقوية.
٣. يوجد بوسط المدينة ساحة كبيرة فيها أكبر مساجدها.
٤. كانت البيوت تبني داخل ساحة الدار وليس لها نوافذ تطل على الشارع.
٥. كان يخصص حي من أحياء المدينة لأهل كل حرفة أو بعضهم يعرف بأسمائهم.
٦. كانت زخارفهم مستمدة من مناظر طبيعية وأشكال هندسية ونباتية، وتحاشوا التماثيل والصور المجسمة كي لا يتشبهوا بعبده الأوثان.[١٤]

إن ما تبقى من البيوت الإسلامية النموذجية التي تتكون من طابقين أو أكثر وتحتوي على غرف للنوم والمسافرين (الضيوف) والصحن والحرملك قليل، مثال ذلك منزل " زينب خاتون "و "بيت السحيمي" و "السناري "بمصر، فهي تمثل روعة التصميم المعماري الإسلامي؛ لما زينت به من المشربيات المحلاة بالأرابيسك ،وهي غير القصور التي كانت تضاف إليها البساتين وحمامات السباحة والحدائق الرحبة .[١٥]

وتهدف اتفاقية التراث العالمي ١٩٧٢ م – الخاصة بمنظمة الأمم المتحدة للتربية والتعليم والثقافة والمعروفة باسم Iesco [١٦] – إلى دعم التعاون بين الدول الإسلامية الأعضاء في المنظمة في المجالات التربوية والثقافية، ودعم الثقافة الإسلامية وحماية التراث الإسلامي، والتعريف بالحضارة الإسلامية، وجعل الإطار العام للمناهج التعليمية مستوحى من الثقافة الفنية الإسلامية، كما تعمل علي حماية الهوية الثقافية للمسلمين في شتي بقاع الأرض [١٧]

وإذا كانت المنظمات العالمية تسعى جاهدة للحفاظ علي تراثنا المعماري الإسلامي من الاندثار وفقد الهوية، كما تسعى إلى جعلها ضمن المقررات الدراسية لأجيالنا؛ لترسيخها في أذهانهم ليستمدوا منها ويضيفوا إليها، كوسيلة مثلى للحفاظ على هذا التراث الفريد واستمراريته في ظل ما نواجهه حاليا من موجات العولمة والحداثة والإغراقات الفكرية والفنية، ومحاولة لفت أنظار أجيالنا تحت ستار الانبهار بالحداثة من خلال تكنولوجيا الاتصالات التي – للأسف– احتلت مساحة كبيرة من فارغ أجيالنا وعقولهم، ونظار لعدم توافر الإحلال الثقافي والفني لموروثهم من الفن والعمارة ؛ فقد احتلت الحداثة جزءا لا يستهان به من فكرهم. وعليه وجب علينا استعراض مفهوم الحداثة وماهيته لإيجاد توافق متوازن بين الحداثة والأصالة، بحيث لا نفقد هويتنا الأصيلة، ولا ننفصل كل الفصل عن مواكبة العصر.

الحداثة وما بعد الحداثة:

إن تناولنا لمفهوم الحداثة وما بعد الحداثة ببحثنا هذا ليس بقصد دارسته كاتجاه في جميع مناحي الحياة، خاصة ما نحن بصدده من اتجاهات معمارية، وإنما يهدف بالمقام الأول إلى توضيح النوايا، فقد أوضحنا بصدر هذا البحث القيمة الحقيقية والممتدة عبر مئات السنين لفن العمارة الإسلامية، ومن ثم استدامته بقيمه الجمالية والوظيفية المستمدة من التعاليم الدينية والدنيوية، وإن ما يفرضه الله لا يمحوه بشر، وأن هذه القيم قد تتحور وتتخذ أشكالا متعددة، ويبقى الأصل والهوية متأصلتان في روح المصمم المسلم وفكره، فهي جزء لا يتجزأ منه، وله أن ينهل منها ويضيف عليها مستخدما تقنيات الخامات الحديثة التي بدورها تخدم عملية التصميم وتدعمه ؛ لتكون طوعا للروح التصميمية المتأصلة، ولكنها لا تفرض حداثتها على الروح التصميمية، وإلا فقد التصميم أحد أهم عناصره، وفي ضوء

---

[١٤] – أبو زيد شلبي ، تاريخ الحضارة الإسلامية و الفكر الإسلامي ، مكتبة وهبة ، ص ٥٥

[١٥] موسوعة ويكيبيديا ، بيت إسلامي

[١٦] ISLAMIC EDUCATIONAL SCIENTIFIC & CULT URAL ORGANIZATION

[١٧] – اتفاقية التراث العالمي ، ١٩٧٢ م ، IESCO، إحدى منظمات الأمم المتحدة.

ذلك فأن الغرض من تناول الحداثة وما بعدها هنا يأتي للتبصير والحذر أن تطغى هذه الاتجاهات والمدارس على الأصل وهو "روح الفن الإسلامي" وعدم الانبهار بها.

نماذج معمارية توضح مدى تأثر عمارة الحداثة بالخامة وإهمال الشخصية التصميمية

ولعل أول من أثار الانتباه إلى الحداثة في العمارة علي باشا مبارك في مصر في كتابه (الخطط التوفيقية)، وقد أدهشه هذا التحول المعماري نحو الطراز الغربي الذي ابتدأ منذ عهد محمد علي باشا (١٠٨١ – ١٨٤٨ م)، فنادي بثورة الحداثة، غير أن حسن فتحي كان المعماري الذي أدخل ثورة الأصالة، والحداثة علميا لا نظريا، وقد كان دخوله من باب الفقراء الذين يدركون بالفطرة حاجاتهم السكنية الأساسية ، ويقدرون شروط سكنهم ، وينفذون منشآتهم بأنفسهم وببساطة وحكمة وإبداع، دونما قواعد هندسية ونظريات معقدة حتى إنهم ينشئون القباب والأقواس والأسقف دونما قوالب، وكانت وسيلتهم الأساسية هي الخيط، يقيسون به ويحددون أقطار الدوائر، ويرسمون به ومبانيهم السكنية.[١٨]

ويعطي نجيب محفوظ مثلا جليا بأن منتهى المحلية هو في حد ذاته الوصول إلى العالمية، فالإغراق في الأصالة هو عالمية الهوية.

وقد رفض والتر غروبيوس Wlter Grpius زعيم مدرسة الباهاوس والحداثة المعمارية فكرة النموذج الأصلي، وقال : لا بد أن تقطع كل صلة مع الماضي ؛ حتى يتسنى لنا تصور عمارة تنسجم مع عصر التقنيات، وهكذا ظهرت العمارة التي تنسجم مع عالم موحد في صناعته واكتشافاته. وقد كان البناء باستخدام الحديد والفولاذ مميزا لهذه العمارة التي أطلق عليها اسم العالمية، وبهذا انفصلت الحداثة عن لغة العمارة، هذه اللغة التاريخية التي عبرت عن الإنسان الذي أنشئت العمارة من أجله، وبقيت عمارة الحداثة دون لغة أو هوية ؛ لأن اللغة هي التي تعبر عن الهوية كما قال الفيلسوف الألماني هيدغر Hedgar وليس بإمكاننا اعتماد عمارة لا هوية لها، ولا تساعد الإنسان على العيش في بيئته التاريخية والاجتماعية.

لقد كانت العمارة تعبر عن مفهوم قومي، ثم أصبحت اعتباطية فاقدة للشخصية، فالعمارة كما يقول هيدغر : هي عالم الوجود، ومع أن العمارة هي خلية عمرانية فقد أصبحت في عالم الحداثة بعيدة عن شروطها التي تحدثنا عنها اللقاء والتوافق والسكينة، لقد تجاهلت عمارة الحداثة هوية التشخيص Figural Idantity إذ أصبحت الأشكال كما يقول (ميس فان دروه) نتيجة عملية التصميم والابتكار. إن إهمال لغة الذاكرة التاريخية في الحداثة المعمارية ؛ دفع المعمار إلى التعويض عن التاريخ بالحوافز الصناعية، فأصبحت الحداثة مجرد هواية ومغامرة اعتباطية.

واعتقدت الحداثة أنها انتصرت عندما تبنت الأري القائل بأن جميع المشاكل المعمارية قابلة للحل عن طريق الحداثة، وأنه ليس من قلق إذا تخلينا عن التاريخ الجمالي للعمارة، ونسوا أن العمارة أم الفنون مجتمعة مع فن النحت.

---

[١٨] – البهنسي ، عفيفي ، مرجع سابق ، ص ٣١ .

ولا يرى روجر Rogars - وهو أحد رواد مدرسة الحداثة – ما قيل سابقا صحيح، فهو يرى أن شعارات الحداثة أصبحت دوغماتية، وما هي إلا تبرير للتدهور الاقتصادي الذي تحاول الحداثة إنقاذه، ويضيف قائلا : كانت أحداثه تحوي عوامل ضعف قاتلة، كما كانت تحتوي على إمكانيات عالية، ويتفق عدد كبير من المعماريين على مهاجمة الحداثة لنزعتها النخبوية واتجاهها في تدمير المدينة على الرغم من أنهم ممثلو الحداثة.

ويقول جنكز Jenkez: إن الحداثة تنكرت لمقوماتها في الإخلاص للمواد والاتساق المنطقي والاستقامة والبساطة، مما أعلنه لوكوربوزييه في كتابه (عمارة ما بعد الحداثة) وفان دوره. وقد كان المهندس جنكز أول من أعلن عن نهاية الحداثة، ونادى بعمارة ما بعد الحداثة POST MODERN ولامست دعوته عواطف الناس الذين باتوا يبحثون دون جدوى عن ذاتهم من خلال العمارة، وقد ساهم ستيرنج Strling في دعم هذه الدعوى، وحدد مفهوم ما بعد الحداثة بقوله: نستطيع التطلع إلى الوراء حيث تاريخ العمارة ؛ لنجعله خلفية لنا، ولكن قوله هذا لا يصل إلى حدود رفض الحداثة بل الاتفاق معها، وذلك عن طريق استعمال عناصر موتيفات من العمارة القديمة[١٩].

لقد استعمل اصطلاح ما بعد الحداثة لأول مرة عام١٩٣٤ م للدلالة على مظاهر رد الفعل ضد الحداثة، ثم استعملها المؤرخ توينبي Toynbeeسنة ١٩٣٨ م للإشارة إلى العولمة والتعددية الثقافية التي لا بد من ظهورها حسب طبيعة الدور التاريخي، وأن ما بعد الحداثة ما هو إلا استمرار لاتجاه الحداثة مع التعالي عليها، وتتمثل عمارة ما بعد الحداثة في اقتباس بعض الهويات المعمارية القديمة، فتارة ناره يستخدم الأشكال البسيطة التقليدية والكلاسيكية، ويضمنها أحيانا إفريز مصريا، ويستفيد من المعابد الإغريقية مثل البارثنون، ويستعير من الفن الأندلسي الأقواس المفصصة مع تحريفات تفرضها مواد البناء.

نموذج لأحد المساجد بماليزيا يمثل عمارة ما بعد الحداثة

وهكذا فإن عمارة ما بعد الحداثة تجمع بين القديم والحديث، بمعنى آخر فإن هذا الاتجاه لا يمكن أن يكون مجرد إحياء للقديم، ولكن من القديم نستطيع أن نحقق خيارات متعددة، هذه التعددية(Plurality) هي من مميزات عمارة ما بعد الحداثة التي تجعلها متجددة ومتنوعة حسب الثقافات الذوقية.[٢٠]

ومما سبق يمكننا القول إن الحداثة حاولت جاهدة أن تفرض ما يمكن أن نسميه اتجاها أو فكار معماريا ، إلا أنها فقدت الهوية والشخصية، ومن ثم وقعت فريسة لمهارة المصممين المعماريين، ومحاولة وتفرد كل منهم باتجاه ليصبح أكثر شهرة على النطاق العالمي، وغالبا ما كان هذا بقصد الشهرة والمكسب، غير أن الحداثة لم ترق إلى أن تكون طرازا، فسرعان ما اتجه معماريو هذا الاتجاه إلى منحى آخر بديل ؛ ليستمدوا منه لمحة من الطرز السابقة عليهم والمعروفة بسماتها وشخصياتها الواضحة؛ ليطعّموا بها تصميماتهم فيما عرف باتجاه ما بعد الحداثة، أو ما بعد فشل الحداثة الذي يعد أكبر دليل على أنهم لم يحققوا شخصية واضحة المعالم ومتأصلة لاتجاه الحداثة الذي تُرك نهبا للأهواء التصميمية، وعملا بالمقولة العربية "خالف تعرف"، والحقيقة أن تصميماتهم لم تتسم بشيء مميز، فأصبح كل ما ليس له سمة أو شخصية (concept) يسمى بالحداثة، وعندما استمدوا هوية من سبقهم من طرز سمي ما بعد الحداثة، وكان الأجدر بهم أن يطلقوا عليه ما قبل الحداثة أو تأصيل الحداثة، وأكبر مثال هو ما ذكره المعماري الشهير فارنك لويد اريت عند زيارته لجامع السلطان حسن بمصر عام١٩٥٨ م من أنه كيف يجوز لقوم لديهم مثل هذه الروائع أن يتركوها ويستبدلوا بها سوءات العمارة الغربية التي يحاول الغربيون أنفسهم التخلص منها شخصية (concept) يسمى بالحداثة، وعندما استمد هوية ما سبقهم من طرز سمي ما بعد الحداثة ، وكان الأجدر بهم أن يطلقوا عليه ما قبل الحداثة أو تأصيل الحداثة، وأكبر مثال هو ما ذكره المعماري الشهير فارنك لويد اريت عند زيارته لجامع السلطان حسن بمصر عام١٩٥٨ م من أنه كيف يجوز لقوم لديهم مثل هذه الروائع أن يتركوها ويستبدلوا بها سوءات العمارة الغربية التي يحاول الغربيون أنفسهم التخلص منها.

---

[١٩] – منتدى الهندسة نت ، نحو عمارة معاصرة بالهوية الإسلامية ، www.alhandasa.net

[٢٠] – عفيفي ، البهنسي ، مرجع سابق ، ص . ٢٢

ويبدو أن الدعوة إلى الأصالة في العمارة الإسلامية تتفق مع الدعوة إلى ما بعد الحداثة ، فقد استهوى هذا الاتجاه بعض المعماريين المسلمين من أساتذة وطلاب، وعادوا إلى أراء النقاد والمعماريين القائلين بمذهب ما بعد الحداثة دون أن يرجعوا إلى فن العمارة الإسلامية وتطبيقاتها ؛ فخضعوا مرة أخرى إلى التبعية الغربية دون أن تتاح لهم فرصة التعبير عن الذات الثقافية في العمارة الحديثة وتوهموا أنها إسلامية.

الشكل يوضح أن الحداثة حاولت جاهدة أن تفرض ما يمكن أن نسميه اتجاها أو فكرا معماريا، إلا أنها فقدت الهوية والشخصية، ومن ثم وقعت فريسة لمهارة المصممين المعماريين، وتفرد كل منهم باتجاه ليصبح أكثر شهرة على النطاق العالمي، وغالبا ما كان هذا بقصد الشهرة والمكسب، غير أن الحداثة لم ترق إلى أن تكون طرازا

ويمكن القول إن هذه الاتجاهات وإن بدت لنا اتجاهات معمارية حديثة إلا أنها لم ترق إلى مرتبة الطراز، فهي في أجود حالاتها ما هي إلا اتجاهات فكر شخصية تبناها بعض المعماريين العالميين سواء أكان ذلك حبا لهذا الاتجاه أم مجرد ركوب لموجة تصميمية مربحة ماديا ،غير أن هويتها لم تتعد الشكل المبهر والمجهول الذي يثير تساؤلا : ما هذا؟ وشكل هذا الاندهاش والتساؤل موجة أو موضة غريبة انبهر بها مصممونا، فلم تقتصر على المعماريين وإنما تخطت ذلك إلى مختلف الاتجاهات التصميمية كالأزياء و المسرح و الشعر و السينما ....الخ.

ولم يقتصر حد الانبهار بهم إلى مجرد الانبهار بل تخطاه إلى الاقتباس والاقتداء تحت شعار العولمة، ومن ثم كانت العولمة في الحقيقة – لمن لا يدركها جيدا – ما هي إلا اتجاه غير معلن لطمس ما نملكه من تراث، أو التخلي عنه فيما بعد للتمكن من إعادة تنسيبه إلى من لا يملكه، لذا وجب على مفكرينا وفلاسفتنا ومثقفينا في شتى المناحي خاصة المعماريين منهم عدم الانسياق أو الانقياد تحت ستار الانبهار، وأن يكونوا أكثر وعيا وإدراكا لما يدور حولهم ، وأنهم يستطيعون أن ينهلوا من التكنولوجيا الغربية وأن يطوعوها إلى ما يخدم هويتهم الإسلامية الفنية، فلا يعقل أن نترك كنوزنا التي بحوزتنا وأن نسعى إلى ما ليس بحوزتهم ، للنهل مما ليس لديهم آخذين في الاعتبار ما حضّنا الإسلام عليه، فلابد أن نكون خير خلف لخير سلف، وهذا يعني أن ننقل ما ورثناه إلى أجيالنا القوة والأمانة نفسها التي استلمناه بها، وأن ندرك جيدا أن ما يحاك حولنا يعتمد في المقام الأول على عنصري الوقت والزمن، وأن كل شيء في هذا الوجود يبدأ صغيرا ثم يكبر إلا الذاكرة، فهي تبدأ كبيرة ثم تتلاشى وتنسى، وذلك ما يتم العمل عليه تحت ستار العولمة بحيث ننسى هويتنا وارثنا بمرور الوقت، ويمكن رؤية ذلك جليا فيما تفعله الدولة الإسرائيلية مع دولة فلسطين، بالإضافة إلى محاولة طمس الهوية كلما أمكنها ذلك.

بعض من الصور توضح لقطات مختلفة من الداخل والخارج لمسجد ومدرسة السلطان حسن بالقاهرة، وتوضح مدى إثراء العمارة الإسلامية كما قال فرانك لويد رايت

المسكن الأردني "الشكل والمضمون ."

لقد لفت انتباهنا أن المملكة الأردنية الهاشمية لا تحظى بآثار إسلامية معمارية متكاملة المفردات كتلك التي نشاهدها في مصر وسورية والعراق إلا إن هذا لا يعني تجاهلنا لتراثنا المعماري الإسلامي، وعليه فنحن نوصي بهذا البحث المتخصصين والمثقفين ومعماريي الأردن أن يتكاتفوا معا و مع الحكومة في التوصية بتخصيص مجاورات سكنية ذات طابع معماري إسلامي على منحى ما هو قائم بمصر على شاكلة "منزل السحيمي" و "السناري" وغيرها على أن تكون تلك المجاورات السكنية ذات ثلاثة مستويات مسطحيه، تتدرج في الحيز

على أن يشمل كل من الحيازات الثلاث على ثلاثة نماذج متنوعة الاحتياجات والأشكال، فالنماذج الثلاث الأولى تحمل طابعا إسلاميا أكثر تشبعا بمفرداتة، وتأتي الحيازات الثانية والثالثة التي تتدرج قلة في المسطح لكل منها ثلاثة نماذج تصميمية أيضا، تتدرج قلة بدورها في كمية تشبعها بالمفردات التصميمية الإسلامية بحيث تتناسب والإمكانات المادية لكل حائز على قطعة أرض.

وهذه النماذج التسعة يمكن حصرها داخل مجمع عماريي أقرب ما يكون إلى تخطيط المدن الإسلامية آنفة الذكر، مع مراعاة الابتعاد بقدر الإمكان عن ضيق الشوارع وحيز الجار كما كان متبعا بتخطيط المدن الإسلامية العتيقة.

ولدى الأردن مثال لذلك بتخطيط الوحدات السكنية بمدينة الشرق في محافظة الزرقاء، ولكنها للأسف لم تعبر عن أي هوية معمارية، وقد يقول بعض الناس أننا نفرض ذوقا بعينة على الملاك، والحقيقة أن الغالبية العظمى من الأردنيين لم تر نموذجا معماريا إسلاميا مميزا لتتمكن من عمل مقارنة، ومن هنا يأتي دور المصممين. فلا جدال.

في أن نماذج معمارية إسلامية مصممة على نحو جيد سوف تلقى إقبالا كبيار من العامة ممن يفتقرون إلى رؤية مثل هذه النماذج، أخذا في الاعتبار أن مفرداتها من العمارة الداخلية هي ما يتم التصميم عليه حاليا في المسكن الأردني، من وجود مضيفة للرجال منفصلة عن المنزل وأخرى للنساء، وذلك بخلاف الحيازت الوظيفية الأخرى للمسكن، وبذلك نكون كما يقال "قد أصبنا عصفورين بحجر."

أولا: أن ترى الأجيال الحالية والقادمة من الأردنيين نماذج قدوة يحتذي بها، فلم يحظوا من قبل برؤية هذا الطراز قائما على الأرض الأردنية، وأن تتعود عيونهم علي رؤية هذا الطراز والتشبع به، بالإضافة إلى أن اقتناء دار بتلك المواصفات الفريدة شكلا ووظيفيا بشهادة المستشرقين والمعماريين الغربيين ستكون بالنسبة إليهم شيئا جديدا.

ثانيا: إن هذه المجاورات السكنية ذات الطابع الإسلامي بدورها كنواة معمارية ستكون مثلا يقتدى به إما بالنسخ أو التشبه أو اقتباس بعض مفرداته.

فقد يبدأ العامة من المقتدرين ممن يشيدون مساكن خاصة بهم باقتباس بعض مفردات العمارة الإسلامية مثل المشربيات ونماذج الفتحات المختلفة من أبواب وشبابيك وقباب وشخاشيخ وملاقف هوائية، كما يمكن اقتباس بعض الزخارف ذات الطابع الإسلامي على أقل تقدير.

الصور توضح بعض نماذج المجمعات السكنية لمشروع "سكن كريم لعيش كريم" لمدينة الملك عبدالله بن عبد العزيز بمحافظة الزرقاء وهو نموذج غير موفق تصميميا ولا يحمل في طياته أي شخصية تصميمية، ولا يشجع على السكن فيه من الناحية الجمالية والتشكيلية

الصور توضح بعض نماذج المجمعات السكنية لمشروع "مدينة الشرق" بمحافظة الزرقاء وهو مجمع سكنى يفتقد للهوية والشخصية المعمارية

ومما لا شك فيه أننا قد لا نحبذ اقتناء ما لم نعتد على رؤيته، فمن المؤكد أن وجود مثل هذه النماذج خاصة إذا ما روعي فيها ما هو معهود بالطرز المعمارية الإسلامية " الجمال والوظيفة " فإنها سوف تلقى إقبالا وانبهارا. فلا يختلف اثنان على أن الطراز المعماري الإسلامي ذو غنى وجمال، فما ينقص الأردن مجرد وضع حجر الأساس للبدايات، فما قد تقبلته أجيالنا من اتجاهات لا هوية لها ،فالأحرى بنا أن نبصرهم بما هو هويتهم وإن كان تحت مسمى الاتجاه الجديد أو الموضة إن جاز التعبير.

وقد كان لمصر السبق في تخطيط مثل هذه المدن وإنشائها مثل مدينة مصر الجديدة، التي أنشأها البارون امبان البلجيكي الجنسية عام١٩٠٦ م، وعلى الرغم من أنه لم يكن مصريا مسلما إلا أنه حرص على إقامتها على الطراز الإسلامي المميز ؛ إيمانا منه بأن جماليات العمارة الإسلامية جديرة بالتمثل والاقتداء، فلم تكن بدايات تصاميم مدينة مصر الجديدة إسلامية بحتة مثل بيوت السنّاري و السحيمي الإسلامية الأصيلة، إلا أنها كانت تحمل في طياتها وروحها جانبا كبيار من الطابع المعماري الإسلامي الأصيل، ومع أنه قد مرّ على إنشائها – بيوت مصر الجديدة – أكثر من مائة عام إلا أنها مازالت قائمة تزداد قيمة وجمالا عاما بعد عام، ومن أراد اتخاذها مسكنا له فلابد من دفع مبالغ تفوق أسعار المباني الحديثة الأخرى قد تصل إلى الضعف وأكثر.

نماذج لمساكن حي مصر الجديدة حال إنشائها من قبل البارون امبان، ويظهر فيها احترام الشخصية المعمارية الإسلامية التي مازالت قائمة برونقها حتى الآن منذ أكثر من مائة عام

نماذج أخرى لسكن حي مصر الجديدة حال إنشائها من قبل البارون امبان، ويظهر فيها احترام الشخصية المعمارية الإسلامية التي ما زالت قائمة برونقها حتى الآن منذ أكثر من مائة عام

وعلى الرغم من أن مدينة مصر الجديدة كانت تشكل مثالا جميلا يمكن احتذاؤه نظار لتوافر جميع المقومات المعمارية الإسلامية الحديثة بوقتها، إلا أن الدولة والمعماريين بل المستثمرين في قطاع الإسكان لم يحتذوا به، واقتصر تأثرهم فقط على نهج تخطيط المدن الإسلامية القديمة ومقوماتها وذلك بإقامة مجمعات سكنية تتنوع في مسطحها، فأحاطوها بالأسوار، وحوت المجمعات السكنية الكبيرة جيدة التخطيط في منتصفها مسجدا كبيرا، بالإضافة إلى أسواق تجارية وأندية وأماكن ترفيه ومدارس مختلفة للتعليم العام والخاص

وحدائق، كما عملوا على تخطيط المنازل أيضا متنوعة الأشكال والمساحات حسب الإمكانات المادية لكل قاطن، غير أنها لم تحمل طابعا معماريا إسلاميا مميزا ولا ندري لماذا!

وفي الأردن في مدينة العقبة تحديدا نرى مثالا حيا على التأثر بالنمط والطراز المعماري الإسلامي متمثلا في قرية سرايا العقبة السياحية، التي تشمل مبانيها على القباب والعقود، فتتخذ بذلك شكلا مميزا يميزها عن باقي القرى والمدن كمباني مدينة الشرق في محافظة الزرقاء التي أشرنا إليها سابقا، والتي لا تشمل مبانيها أي طراز مميز.

قصر البارون امبان مؤسس مدينة مصر الجديدة وقد حرص على إنشائه على الطراز الإسلامي الهندي

مباني قرية السرايا السياحية بمدينة العقبة، ويظهر فيها الطابع الإسلامي من ناحية الكتلة والمفردات كالقباب والعقود، وهي مثل كان لابد أن يحتذى به في تصميمات المدن السكنية الجديدة بالمملكة الأردنية الهاشمية

وأكثر ما أخشاه أن تنتشر مثل هذه المجمعات السكنية في الأردن، وتصبح نسخا ممسوخة من بعضها ليس لها هوية، ومن ثَمّ يصبح طرازنا المعماري الإسلامي من حكايات الأساطير نراه فقط في الأفلام الوثائقية والدراما التاريخية.

النتائج والتوصيات:

في ضوء ما تم سرده وإيضاحه من إعطاء أمثلة حية وقائمة بالفعل نوصي بما يلي:

على النطاق التعليمي:

١- إدراج دارسة تاريخ الفن الإسلامي في مراحل مبكرة من التعليم وبصورة مبسطة تتواءم مع الاستيعاب الفكري والسني لكل مرحلة، وذلك من قبل لجان متخصصة بالفن الإسلامي وخبراء في علم التربية.

٢- ألا يقترن تدريس الفن الإسلامي بالدين الإسلامي – إلا من باب التنويه فقط – حتى لا يختلط الأمر على الطلبة خاصة في المراحل التعليمية المبكرة.

٣- عمل رحلات تعليمية لأماكن إسلامية التراث داخل المملكة وخارجها إن أمكن، وعرض أفلام وثائقية مرجعية – على أقل تقدير – يصاحبها شرح جيد ومفصل من قبل متخصصين يوضحون مدى براعة الفنان المسلم والقيم الجمالية لهذا الفن ومقوماته.

٤- إدراج موضوعات معينة لمادة التربية الفنية تشمل أشكالا فنية إسلامية ؛ ليتربى الطفل على حب الفن الإسلامي، ويمكن أن تكون الموضوعات تطبيقية HAND CRAFT مثل عمل زجاج ملون معشق بالجص أو الرصاص، وأعمال أركيت لبعض الزخارف الإسلامية.

٥- اقتناء كل مدرسة بمختلف مستوياتها التعليمية لوحات وزخارف إسلامية مع مادة علمية مكتوبة، توضح مكان هذا الأثر وقيمته الفنية بشكل مختصر، ومعروضة بحيث يراها الطلبة بشكل واضح وشيق.

٦- إدراج مادة التصميم المعماري الإسلامي ضمن مناهج الدارسة لكليات الهندسة بقسمي العمارة والمدني كأحد مشاريع التخرج لطلبة المرحلة النهائية.

على النطاق القومي والتطبيق العملي:

١- التنسيق الكامل والمدروس علميا بين وازرتي الإسكان والإشغال وأي وزارة أخرى تدخل مهامها ضمن هذا المشروع القومي بتخصيص مجاورات سكنية ذات طابع إسلامي متدرجة المستوى بكل محافظة من محافظات المملكة، كما يمكن طرح ذلك على المستثمرين أيضا.

٢- أن تتم التوصية ببناء مدارس "التميز للمتفوقين" تحمل طابعا إسلاميا كاملا من قباب ومشربيات وملا قف ونماذج للأبواب والشبابيك، لتكون مثالا مميزا للمتميزين من الطلبة.

٣- التوصية لدى نقابة المهندسين لعمل دورات تدريبية تثقيفية من قبل مهندسين متخصصين في العمارة الإسلامية من كافة البلدان الإسلامية للمهندسين الأردنيين، وحثهم على إدراج نماذج معمارية ذات الطابع الإسلامي في تصميماتهم لعملائهم للتبصير والاحتذاء.

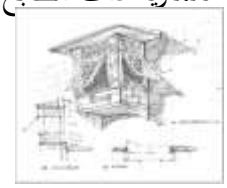

اسكتش منظوري يبين أحد الحلول للفتحات المعمارية للمسكن الأردني بتكلفة قليلة ومستوحى من فكرة المشربية الإسلامية

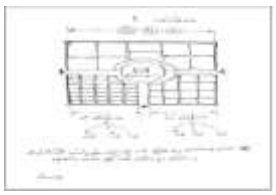

اسكتش منظوري يوضح المقترح التخطيطي لتدرج المستويات السكينة، عند تخطيط المدن السكنية ذات الطابع الإسلامي

المراجع والمصادر

١. أحمد، بن نعمان، اشهدي يا جزائر، دار الأمة٢٠٠٢ م ،ص ١٨٨ .

٢. البهنسي، عفيفي، فنون العمارة الإسلامية و خصائصها، في مناهج التدريس، ص٦

٣. البهنسي، عفيفي، ١٩٨٢، الفنون القديمة، دار الرائد اللبناني، بيروت، ص ٣٩٥

٤. توقان، جعفر، موقعة الخاص على شبكة الإنترنت.

٥. حمودة، ألفت يحيي، ١٩٨٧ م، الطابع المعماري بين التأصيل والمعاصرة، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ص . ٣٦

٦. الزركاني، خليل حسن، ٢٠٠٢، السرداب ووسائل التبريد في المسكن العربي القديم، ص ٩٦

٧. أبو زيد شلبي، تاريخ الحضارة الإسلامية و الفكر الإسلامي، مكتبة وهبة، ص ٥٥

٨. الشمراني، سامي سعيد، فلسفة الجمال في العمارة الإسلامية، ص ١٣٨

٩. عمارة، محمد، مخاطر العولمة على الهوية و الثقافة، ١٩٩٩، ص . ١٠٢

١٠. الوزيري، يحيي، العمارة الإسلامية و البيئة، الروافد التي شكلت التعمير الإسلامي، ص. ٢٣، ٢٤

١١. اتفاقية التراث العالمي، ١٩٧٢م IESCO، ، إحدى منظمات الأمم المتحدة .

١٢. IESCO, العدد ١٥٦، بعنوان، الايسيسكو بين الأهداف و المصاعب و التحديات، ص . ٤٧

١٣. مجلة التراث، العدد ٤٦، ٤٩

١٤. منتدى الهندسة نت، نحو عمارة معاصرة بالهوية الإسلامية www.alhandasa.net

١٥. ويكيبيديا، الموسوعة الحرة، في تعريف العمارة الإسلامية.